وهي واقفة تحت مظلّة مزدانة بازهار البلوفر واسمها منقوش فوق رأسها وفيه الكلام الآتي "ابنة الملكة المحبوبة اتن مكت التي ولدتها له الملكة العظيمة اتن نفر ونفريتي الازليّة" والملك واقف امامها وهو يبكي والشمس فوق رأسه وقد انتشرت اشعتها عليه وكتب بجانبها الكلام الآتي "الجرم الحي العظيم في اعيادو رب السماء ورب الارض" ووراء الملك والملكة بنانهما الثلاث ووجوه هذه الصور مشوهة كلها وفي آخر المخدر غرفة الملك وهي ثلاثون قدمًا طولاً في مثلها عرضًا ومملوءة بالانقاض وبينها قطع ناووس من الغرانيت كان منقوشًا نقشًا بديعًا دلالة على انها فتحت في سالف الاعصار ونهب ما فيها وكسّر ناووس الملك كما شوّهت صورته وصور زوجته وبناته في الغرفة الاخرى والصخر في جدران هذه الغرفة لم يكن صلبًا فغطي بالكلس ونقشت النقوش عليه ولكن الكلس انهار على تمادي الزمان فظهر الصخر عاريًا

اثر الاسلام في بلاد الشام

لجناب العالم المحقق جرجي افندي بني الطرابلسي

نريد بالاثر ما خلّف الملوك محفورًا على الصخر الاصمّ من الكتابات المخلدة لم ذكرًا يهتدي الى حقيقة امره اهل البحث والتنقيب ونحن نخص بضعة من هاتيك الآثار اختارها جناب المسيو كلرمون كانيو موضوعًا لبحث دقيق في الجمعيّة الاسيّة الفرنسيّة فنقول

الاثر الاول

ان في سنة ١٨٨٤ وجد بعضهم كتابة عربيّة اللغة كوفيّة القلم وذلك بين انقاض يُعرف موضعها بخان الحثرورة وهو واقع بين اورشليم واريحا وكأن الدهر طمس على سطريها الاول والثاني ولم يبق منهما الاّ اثرًا بعد عين وهذا نص الكتابة

. . . . . .

وسه . . . . . .

هذ الطريق و

صعه الاميال عبد

الله عبد الملك ا

مير المؤمنين رحمة الله

عليه من دمشق الى هذا

الميل تسعة وماية ميل

ولا يخال ان السطر الاول كان يحوي غير البسملة واما الثاني فان الكلمة المرسومة في بدئهِ حملت العلّامة كلرمون كانيو على تخمينها سنة او سنة الاّ ان كلتا الكلمتين لا وجه لدخولها في مبتدإ الكلام ولذلك نحسبها بقية حروفٍ طمس الدهر عليها اولم يحسن النساخ كتابتها . واول كلام السطر الثالث هذ وهي ناقصة النّا في اخرها على تذكير الطريق او ياء على تأنيثها والاول ارجح لسبق اعتياد الناقشين على اضاعة الالف اولجري بعض الكتبة على حذفها خطًا حيث لا يقع اللبس على قول . ويبتدئ السطر الرابع بكلمة صعه ولذلك احتار الباحث الموماً اليهِ في شأنها ولم يرَ لها مثيلاً مع انهُ ذكر ضبعة وصبغة وصيفة وصناعة وصنيعة ووضيعة وضعة وضيعة . والحال انّا نرى الاولى ان تكون ضَبَعَة لانهُ ورد ضبع الطريق اي قسمها والمعنى كلهُ قائم بتقسيم الطريق وقد حام الباحث المذكور حول المعنى واورد الكلمة وفسّرها قسّم الشيء اجزاء متساوية اذ قال Partager en parties égales ولكنهُ لم يجزم بصحتها بل حسبها كاخواتها غير وافية بالمراد مع انها باضافتها الى الكلمة الثانية تصبح ضبعة الاميال فتؤدي المعنى المقصود . على انهم كانوا يطلقون على هذا المعنى الجديد اسم الميل ايضًا بدليل ما رأيت في نص الاثر " من دمشق الى هذا الميل " وما ورد في كتب اللغة من ان الميل منار يبنى للمسافر وناهيك بما ورد في مروج الذهب للمسعودي من ان ابا العتاهية حجّ ذات مرة مع الخليفة هرون الرشيد فلما كانوا في بعض الطريق نزل الرشيد عن راحلتهِ ومشى ساعة ثم اعيا فقال ابو العتاهية هل لك يا ابا العباس ان تستند الى هذا الميل فلما قعد الرشيد قال لهُ يا ابا العتاهية حركنا فقال

ألا يا طالب الدنيا دع الدنيا لشانيكا
وما تصنع بالدنيا وظل الميل يكفيكا

وكأني بالخلفاء لما استخلص امرهم في سورية رأوا من سداد السياسة ان يتبعوا خطة سلفائهم في السيادة على البلاد اريد بهم قياصرة الروم وذلك من حيث تحسين الطرق وتمهيدها ترويجًا للتجارة وتسهيلاً لحركات الجند وهم يومئذٍ في مسيس الحاجة الى ابقاء القوة القاهرة في ايديهم وتلك لا يتم الانتفاع بها الاّ اذا اقتدر الجند على سهولة الانتقال وسرعة الجري وليس مَن ينكر على اولئك الخلفاء اخذهم اطايب اعمال القياصرة في حكوماتهم والباسها الحلية العربيّة اوَما تراهم لبثوا يتخذون حساباتهم بلغات مسوديهم زمنًا ثم افرغوا ذلك في قالب عربي وكذلك كانوا يتعاملون بسكة الروم حتّى ضرب عبد الملك بن مروان منهم وضرب السكة في الاسلام وعلى هذا المنوال نهج الطرق في بلادهِ واحتذى بالذين

سلفوهُ واخبروا شؤون الحضارة . وقد قال الباحث ان الميل كلهُ لم تدخل العربيَّة الاَّ منذ عهد عبد الملك كأنهُ اراد ان يستشهد بذلك على اقتناء الاثر الروماني (البزنطي) في الطرق وتقسيم المسافات وزاد على ذلك ان بعض المؤلفين من الاسلام كانوا اذا ذكروا شيئًا من المسافات في البلاد التي كانت رومية حسبوها بالاميال بخلاف البلاد العربيَّة فانهم يحسبونها بالفراسخ وذلك مدى القرون الاولى من التاريخ الهجري . ثم ان حضرة الباحث المنقول عنهُ يحسب ضبعة الاميال المذكورة اوَّل اثر عربي وجد من نوعها ولكنهُ يقول بوجود سواها في اماكن اخرى لان البريد العربي كان منتظم الادارة وقال ان الى الشرق من خان حثرورة الآنف الذكر وعلى قيد ميلين منهُ ضبعة اميال يُعرف هذا العدد بين الاهلين بدبوس العبد او دبوس الشيطان والناس يزعمون نسبة هذا الى الرومان ولكن من المحتمل ان يكون من ضبائع عبد الملك . واما القول بان تلك الضبائع كانت رومية النشأة فيؤيدهُ اثر لاتيني اللغة والقلم وجد محفورًا على حجر قرب عجلون ومؤداهُ ان القيصرين الرومانيين انطونين وفاروس مهَّدا هذا الطريق عام ١٦٣ ميلاديَّة واقاما ضبعة اميال فيها وارتأى بعضهم ان البزنطيين (الذين نسميهم رومًا متابعةً لمؤرخي المسلمين) اصلحوها ورمموها وجددوا اميالها فظلت حتَّى اقتناها في مرمتها عبد الملك بن مروان

بقي علينا متابعة الباحث الفرنسي في اظهار شأن هذا الاثر فكلمة عبد الله ليست كما قال مؤدية معنى العبودية لله تعالى انضاعًا لديهِ وخشوعًا لان ذلك لا يُقال عن لسان الغائب وانما يخال لي ان عبد الله من اسماء عبد الملك بن مروان ولكن لم يُذكر بهِ في كل ما عثرنا عليهِ من المؤلفات الاَّ ان اسمهُ المحفور عن باب قبة الصخرة يؤيد رأينا كما سترى وان لم يكن عبد الله من اسمائهِ فهو اسم آخر

ولا غناء ان من مفاخر العرب في اجيالهم التنويه بالانتساب الى آبائهم وقد جرى المسلمون في صدر زمانهم على هذا النحو ازمنةً طوالاً وانتحاهُ خاصتهم وعامتهم ولم ينبذهُ الخلفاء في اعمالهم وحسبك ثبتًا نصوص تواريخهم وكتاباتهم وفي كلها لا ترى شذوذًا عن هذه القاعدة بل تجدهم يقولون فلان بن فلان امير المؤمنين . وليس عبد الملك بالرجل الرامي بسنة قومهِ ظهريًّا لانا وجدنا اسمهُ مكتوبًا مئات من المرات وفي جميعها يسمى عبد الملك بن مروان فكيف يصح في الاذهان انهُ يُسقط اسم ابيهِ مروان بن الحكم عن صفيحة دهرية . ان في ذلك نظرًا

واذا تبيَّن ذلك وان الاثر لاَّضيق مجالاً من وسع المقدَّر حذفهُ (بن مروان) مع ما سبق

البحث يه عن كلمة عبد الله رأينا ان للعبارة تفسيرًا آخر ألا وهو انهُ كان لعبد الملك ابن يقال له عبد الله بن عبد الملك وقد بعثهُ ابوهُ واليًا على مصر بعد وفاة اخيهِ عبد العزيز بن مروان وذلك سنة ٨٦ اي قبل وفاة عبد الملك باشهر فلما بويع بالخلافة للوليد بن عبد الملك اقرَّ اخاهُ عبد الله على مصر فظلَّ عبد الله فيها الى سنة ٨٨ ثم لحق باخيهِ في الشام

فاذا يمنع حسبان تلك الكتابة الاثرية ناقصة حرفين هما (بن) موضعهما بين عبد الله وعبد الملك فيكون عبد الله المذكور هو الذي اصلح الطريق وجدَّد الاميال بين دمشق عاصمة الدولة و بين القدس الشريف واقام عليها نصبًا باسمهِ عبد الله بن عبد الملك امير المؤمنين وهلاَّ يحسب قولهُ في آخر السطر السادس واول السابع رحمة الله عليهِ مزيدًا في التثبت بهذا الظن

على انهُ اذا صحَّ ذلك حُسب بناء الضبعة المحكي عنها بعد سنة ٨٦ والاَّ فان عبد الملك بن مروان امر بها في حدود تلك المدة ولم يؤتَ على آخرها الاَّ بعد وفاتهِ

والطريق المذكور ممتد من دمشق الى جنوب الجنوب الشرقي محاذٍ شرقي الاردن حتَّى اعالي السلط ومن هناك يجتاز النهر امام اريحا وخان حذرورة الى اورشليم . ومن غرائب التحقيق ان المسافة بين الخان المذكور ودمشق تطابق المقدار المحكي على الاثر اي مئة وتسعة اميال والطريق كلهُ ظاهر التخطيط القديم و يحسب اقصر مسافة بين البلدين من الطرق الاخر كما شهد بعض علماء الانكليز وشهدوا بحسن هندستهِ وذكر ضبائع الاميال التي فيهِ وعناية العملة في نقر الصخر الى غير ذلك

ورأى حضرة الباحث الفرنسي ان عبد الملك بن مروان كان مضطرًا لتمهيد هذا الطريق واحكامهِ وهاك معرَّب قولهِ في هذا الشأن وناهيك انا لعارفون بما اثر مؤرخو الاسلام من ان عبد الملك كان في حاجة ماسَّة الى استتمام الصلة بين عاصمتهِ دمشق واورشليم لان هذه المدينة تعتبر مقدسة عند المسلمين والنصارى واليهود جميعًا وفوق هذا فقد كان مضطرًا لتحويل حج مسلمي سورية عن مكة المكرَّمة الى القدس بسبب خصامهِ مع عبد الله بن الزبير المدعي الخلافة في مكة والمدينة الاَّ ان هذا التحويل لا يتم بسهولة ولكن حجة الخليفة فهو كانت مستندةً الى حديث نبوي شريف رواهُ ابن شهاب الزهري مؤداهُ ان الحج يتم في احد المساجد الثلاثة ألا وهي مكة والمدينة والقدس ولذلك بنى في القدس فوق الصخرة الشريفة جامعًا يسمى قبة الصخرة يطوف الحجاج حولهُ كما يطوفون حول الكعبة . وعليهِ فتمهيد الطريق نتيجة ملازمة لبناء الجامع انتهى . قلت ان مؤرخي الاسلام لم يتفقوا على القول ببناء

عبد الملك لجامع الشريف وحسبك في ذلك ما نوّثرهُ عن الحسن بن احمد المهلبي في كتابهِ المسمى بالعزيزي قال ان الوليد بن عبد الملك لما بنى الصخرة بيت المقدس بنى ايضاً هناك عدة قباب وسمى كل واحدةٍ باسم منها قبة المعراج وقبة السلسلة وقبة المحشر قال وانما فعل ذلك ليعظم موقع القدس في نفوس اهل الشام وينتهوا بهِ عن الحج الى بيت الله الحرام قال فانهُ كان يكرهُ مسير الناس الى الحجاز لئلاّ يطلعوا على فضل آل بيت رسول الله (صلعم) فيتغيروا على بني امية والعهد عليهِ في ذلك الى ان يقول والنيت على الصخرة زبالة البلد عناداً لليهود وبني الامر كذلك حتّى فتح عمر (رضه) القدس فدلهُ على موضع الصخرة بعضهم فنظفهُ وبنى على الصخرة مسجداً وبنى حتّى تولى الوليد بن عبد الملك فبنى فيهِ قبة الصخرة على ما هي عليهِ اليوم انتهى . وقال صاحب نزهة الناظرين في مَن ولي مصراً من الخلفاء والسلاطين في اثناء كلامهِ على ولاية الوليد عبد الملك انهُ بنى قبة الصخرة بيت المقدس انتهى ولم يذكر ابو الفداء ولا ابن الشحنة شيئاً من ذلك الاّ ان الاول يقول ان الوليد كان مغرى بالبناء وذكر لهُ في سياق كلامهِ بناء الجامع الاموي بدمشق وتجديد بناء المسجد في المدينة المنورة . فيتضح مما اوردنا ان مؤرخي المسلمين ليسوا على اتفاق في معرفة باني قبة الصخرة وان تحويل الحج الى القدس الشريف نُسب ايضاً الى الوليد بن عبد الملك ولهذا يُحال لنا ان الطريق الممتدة بين القدس ودمشق لم يكن المقصود من عناية عبد الملك بن مروان بها تسهيلها على الحجاج بل تقريب الصلة بين البلدين لغايات جمّة

واغرب من هذا ان الباحث الفرنسي انكر على كتبة الافرنج اطلاقهم اسم جامع عمر (رضه) على قبة الصخرة مع ان هؤلاء نظراً في اعتبار الحقيقة التاريخيّة من نسبة بناء الجامع الاول لامر هذا الخليفة العظيم كما هو ظاهر في كثير من الروايات التاريخيّة

وفي آخر السطر السادس واول السابع من الاثر قولهُ "رحمة الله عليهِ" وتلك اشارة الى ان نقش العبارة تمّ بعد وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان وبما ان الامر ببنائها معزوٌّ اليهِ فمفهوم العبارة ان ذلك الامر صدر ابان كان عبد الملك حيّاً يُرزَق ولكن عاجلتهُ المنون دون الاتيان على آخر ما اراد من تجديد الاميال ومرمة الطريق فمات وانتهت الاعمال الى عتبهِ فاتموها وقصر المسافة يحدو بنا الى الظن بان صدور امرهِ كان في نفس السنة التي توفي فيها اي سنة ٨٦ هـ . فان صحّ ذلك تكون مرمة الطريق بعد ثلاث عشرة سنة من استتباب الامر لهُ بعد مقتل عبد الله بن الزبير وبيعة الحجاز واليمن لهُ واجتماع الناس على طاعتهِ وحين اذ لم يكن من حاجةٍ لتحويل الحج عن البيت الحرام والله سبحانهُ اعلم

الاثر الثاني

ان على العتبة العليا من باب جامع القبة من جهة الداخل كتابة عربيّة اللغة كوفيّة القلم منقوشة بالفسيفساء البديعة هذا نصها :

بنى هذه القبة عبد الله عبد (الله الامام المأمون ا) مير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين يتقبل الله منهُ الخ

على انا نعلم ان الامر استتب للخليفة عبد الملك بن مروان في مصر والشام سنة ٦٥ ﻫ وانهُ ظلّ في امارتهِ حتّى وفاتهِ سنة ٨٦ ﻫ بحيث تكون سنة ٧٢ من زمن ملكهِ بغير خلاف واما المأمون بن هرون الرشيد فقد بويع لهُ بالخلافة بعد مقتل اخيهِ الامين سنة ١٩٨ ﻫ وجاء الشام سنة ٢١٥ وتوفي سنة ٢١٨ وبين الزمنين مدة طويلة لا تحتمل اللبس بل ربما ان المأمون لما رمّم القبة وجدّد زينتها اوعز بتخليد فعلهِ على حجارها فمحا الناقش اسم عبد الملك بن مروان محوًا اسفر عن الفعلة وترك اثرًا لاظهارها يتبينهُ من ينعم فيهِ النظر فيرى اختلافًا بيّنًا بين لون الملبا البديع المحفورة عليهِ الحروف الاولى وبين ما محي من تلك لادخال اسم المأمون وناهيك بابقاء عبد الله مكررةً وانكى من ذلك وادل على جهل الناقش ترك التاريخ على رقمهِ الاول ولا يخال لنا ان الفعلة كانت بامر المأمون او تحت نظرهِ لان مكانهُ من العلم والفضل ورجحان العقل يرفع بهِ عن مثل هاتيك الطفائف وانما ربما اتاها بعض الاغرار الراغبين في الحظوى لديهِ ولو وقع نظر المأمون عليها لاستدرك ما فرط من النقاشين بتغيير تاريخ الاثنين وسبعين واختلاف لون الكلمات الاخيرة (التي رسمنا حولها هلالين للدلالة عليها في نص الاثر) ذلك اذا شاء انتحال كل الفضل لذاتهِ

ومتى ثبت هذا الاثر لعبد الملك ولا اراهُ الّا ثابتًا تقرّر ايضًا خطأ من قال من المؤرخين ان قبة الصخرة من بناء غيرهِ من امناء عترتهِ الّا ان يكون الترميم متصلاً بحيث لا يتركهُ الواحد من اولئك الخلفاء حتّى ياخذ بهِ الآخر

وثبوت هذا الاثر يعود بنا الى بحث المعنا اليهِ آلا وهو دخول كلمة عبد الله على عبد الملك

سنأتي البيّنة